كيف هيأت نفسك للعام الجديد ؟

للأستاذ صلاح الدين الأيوبى

وكيل إدارة البيع والرهن بوزارة التجارة

توضع الميزانية المالية للدولة على ضوء سياسة عليا ، يقصد انتهاجها خلال العام فتقدر أهمية المرافق على هذا الأساس ، وتربط القوى المالية المناسبة لكل مرفق ، ثم ينظر فى كيفية تدبير الموارد .

والإنسان فى حاجة إلى وضع ميزانية لشؤون نفسه فى أول كل عام بها يتمكن من استغلال كل لحظات الحياة فيعوض بالتدبير قصر أجله الذى كان موضع الشكوى منذ قديم الأزمان فقد قال ابقراط معلم الطب " الحياة قصيرة والفن طويل " . وكان ارسطو يشكو تفضيل الطبيعة بعض الحيوان على الانسان بطول العمر فان الفيل والحوت والنسر والغراب والببغاء تعيش قرونا فما أولى أن نقيس العمر من حيث عمقه لا من حيث طوله فيقاس بالأعمال والأفكار .

ومن يبلغ من العمر ستين عاما يكون قد قضى منها ما مقداره و بيانه آتيان :

١٠ أعوام فى عهد الطفولة . وهو طويل اذا قورن بعهد طفولة الحيوانات .

١٨ عاما و ٦ شهور فى النوم بواقع ٧ ساعات يوميا .

سنتان و ٤ شهور فى الانتظار ، سواء فى ذلك انتظار الترام أو انتظار الصديق أو انتظار الطعام . بواقع ١٠ دقائق فى اليوم .

٤ سنوات و ٨ شهور فى المشى بواقع ٢٠ دقيقة فى اليوم .

٩ سنوات و ٦ شهور فى مجالسة بعض السخفاء و بعض الذين يفرضون أنفسهم ، وفى المحادثات التى لا ضرورة لها نتيجة للتفاهم مع من كانت أفهامهم بطيئة ، بواقع ٤٠ دقيقة فى اليوم .

٤ سنوات و ٨ شهور فى الغضب أو الكدر أو الحقد أو الحسد أو القلق أو الملل أو الغيظ أو الطمع أو أى منغص من المنغصات ، بواقع ٢٠ دقيقة فى اليوم على الأقل .

ومثل هذه الشواغل التى تلتهم الوقت تكفى أن تخرج الشيوخ من الحياة ونصيبهم منها لا يزيد على نصيب الأطفال .

وليس المقصود من استغلال كل لحظات الحياة أن يعمل الانسان على تحويل الزمن الى ذهب ، فإن قيمة ساعات الحياة لا تقدر بالمال . وليست الحياة مقصورة على الكسب

فاذا إحدى اليدين ملاى بالذهب والأخرى فارغة من الزمن ، فقد يملك الانسان أشياء غالية ونفيسة ولكنه لا يمكنه إرجاع ساعة تنقضى من عمره ، فهو حين يجمع الآلاف التى ينتفع أو يضار بها غيره من بعده يفرط فيما ينتفع هو به من أيام حياته . فإذا أفاق على دنو أجله ود لو يفتدى كل كنوز الأرض ساعة واحدة من الزمن وهو الذى أضاع فى سبيلها كل العمر ! (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون).

ليس المقصود من استغلال كل لحظات الحياة أن يعمل الانسان على الانتصار فى منازعاته وخصوماته ومشاحناته وانتقاماته ولا المقصود أن يفوز باللذات وأن يشبع الشهوات وأن يستسلم للراحة والكسل .

وانما المقصود أن يتصرف الانسان فى أوقاته وجهوده تصرفه بالحزم فى أمواله ، بل أنه خير له أن يتصرف فيها تصرف البخيل الممسك ، فيضع سياسة رشيدة ، وعلى ضوئها يقدر أهمية كل مرفق من مرافق الحياة ، ثم يرصد له ما يناسبه من الوقت والجهد — والمال إذا تطلب تحقيقه مالا — و بمقتضى هذا النظام لا تطغى ناحية على وقت وجهد — ومال — ناحية اخرى . فاولئك الذين قصروا حياتهم على الكيل للناس ، ورد كيل الناس لهم ، وأفرغوا أعمارهم وجهودهم وأموالهم فى المنازعات والقضايا ، قد فقدوا فى الحقيقة عنصر التعادل فى توجيه جهودهم فى نواحى الحياة وأصبحوا ضحايا الغيظ والحقد والعناد والهم والكدر ، وأن كل يوم يقضونه وهم بين هذه الانفعالات لا يعادله ولا يعوضه كسب موضوع النزاع ومثلهم مثل المسافر الذى يتلهى بقراءة قصة أو بالتحدث إلى من معه من المسافرين فتنتهى رحلته دون أن يشعر بها فيقول كما قال شكسبير بلسان ريشارد الثانى أنا الذى قتلت الوقت وقد أصبح قاتلى .

قال فرانكلين « إذا كنت تحب الحياة فلا تسرف فى الوقت لأن الحياة منه » وقال مارك أوريلوس "قضاء الانسان عيشة هنيئة منوط به وذلك باحسان التفكير والتصرف" ، وقال ايكاتوس " من كان شقيا فى حياته فلا يتح باللائمة على أحد إذ هو السبب فى شقاء نفسه " . ويقول المثل التركى " النشيط يغوى الشيطان وهذا يغوى الكسول " .

ولكل أن يضع المنهج الذى يختاره ويروق له . وفيما يلى مثال ينير السبيل إلى هذا المقصد :

الرياضة — استنشاق الهواء النقى واختيار صحبة الرحلات — الملبس — التجمل — الصوت — الكلام — العلوم .

مراقبة خواطرك وأحلامك للوقوف على أسرار اتجاهاتك النفسية — تربية روح الفكاهة والمزاح — قائمة هواياتك النافعة — دراستها لتنميتها والتعمق فيها — قائمة الفنون الجميلة لتستعملها بقصد إزالة الهم والسأم والعصبية وإيجاد التوافق بين عقلك الباطن وعقلك الواعى.

قائمة المواضيع التى يجب أن تكون ميدانا لاهتمامك — خطة توسيع مجال هذا الميدان — خطة تعهد تشتت الانتباه إلى عدة مواضيع فى آن واحد — تحسين قوة الانتباه — تحسين قوة الملاحظة — وقوة التفكير — والتذكر — والتخيل — والابتكار .

استيحاء المثل العليا — خطة تحسين الأعمال وذلك باحصاء العادات المستهجنة للتخلص منها أو من معظمها — وإحصاء العادات المزمع اعتيادها أو اعتياد معظمها — أساس الحكم على العادة — التوفيق بين الأسس المتنازعة — الفكرة التى ينبنى عليها التوفيق .

ضبط أسس الطباع وهى الانفعالات الفطرية البسيطة كالخوف والغضب — ضبط تكوين العواطف نحو الأشخاص والحيوانات والأشياء والاماكن والأفكار — حصر ما هو جدير منها — قائمة الأشخاص الأفاضل ومزايا كل منهم — قائمة مواضيع الولع المفيد — والآراء العظيمة — والمثل العليا — عدم التنافر بين وحدات هـذه المجموعة — الانسجام بين وحدات هذه المجموعة .

تقريراتك بما عرفته فى نفسك من مزايا ومن عيوب — خطة اشباع طموح النفس البشرية للارتقاء بحصولك على نصيبك الطبيعى من المعرفة — ومن الاحترام الاجتماعى — ومن الحضارة — دراسة وسطك الاجتماعى — خطة تنقية المبادئ التى تتبعها فى معاملتك الناس — وفى فهمهم — مناقشة سلوكهم كمقياس لسريرتهم — خطة المران على التعمق فى معرفة الشخصيات — هل تتخذ من نفسك مقياسا للحكم على الناس — فضيلة المقارنة العادلة — مدى انتفاع المجتمع منك — ما تقوم به وما تبذله فى سبيل البر — ما تؤديه من الخدمات التى يطلب اليك أصدقاؤك اداؤها — المذهب الاجتماعى الذى تشمله بعنايتك واخلاصك وتعمل على افادته — مدى أثر المحيط الاجتماعى فى شخصيتك — ومدى أثر شخصيتك فى المحيط الاجتماعى — تنوع مجال النشاط — أوقات الراحة — لحظات السعادة — نواحى التفوق والنبوغ — خطة العناية بهذه النواحى — مدى مساهمتك فى بناء الحضارة .

ويلاحظ القارئ الفطن أن كل موضوع من هذه المواضيع يصلح عنوانا لمجلد . على أن المطلوب ليس قراءة مثل هذه المجلدات ولا هو تأليفها ، ولكن المطلوب هو التزام حد الاعتدال والشرف فى التفكير فى كل منها ، وأما بتوهج النتائج فحدث ، إذا تعهد القارئ هذه الموضوعات يوما بعد يوم وعاما بعد عام انه يدرك معنى الكثير من العبارات التى قد يمر عليها مرّ الكرام ، وحين يقرأ وصفا لشخصية زعيم أو استعراضا لسجايا عظيم يستطيع أن يكوّن فكرة عن عمق شخصيته وأن يتصور عظم وفداحة الجهود التى بذلها على مرّ اللحظات والأيام والسنين حتى توافرت له أسباب الزعامة وتوافرت له عناصر العظمة ، وإذ ذاك ينكشف سر الرجال ومجد الأمم .

سيبدو واضحا ماذا يفعل أولئك الذين يجلسون إلى القهاوى وإلى النرد وإلى الشطرنج وإلى الورق ؛ أنهم لا يدمرون حياتهم فحسب ؛ كلا ، بل أنهم يدمرون نصيب أمتهم فى كفاياتهم الكامنة فيهم . إنهم يقضون القضاء المبرم على عباقرة وقادة وساسة ومصلحين ؛ وعلى منشآت ومؤسسات وسمعة قومية ومجد ينمو بعدهم ويزيد !

فانظر أيها القارئ الكريم إلى ما فى عبارة "قتل الوقت" من معنى فظيع !

صلاح الدين الأيوبى